الفصل السادس

الطبـــــــع والنشر

تحقيق تاريخ انشاء مطبعة بولاق ، الباعث والمشير بانشاء المطبعة ، احضار أجزاء المطبعة الأولى من إيطاليا ثم من فرنسا ، إنشاء مصنع الورق بمصر ، مديرو المطبعة ، موظفوها ، المطابع الأخرى فى : مدارس الطب ، والهندسة والطوبجية ، وفى القلعة ، وفى سراى الأسكندرية ، الغرض الأساسى من إنشاء هذه المطابع ، توزيع الكتب على تلاميذ المدارس ، الاقبال على الكتب المترجمة خارج المدارس تحدث على يهدى نسخا من الكتب المطبوعة للملك فرنسا ، ولملك روسيا، وانشاء المجم.

كانت أول دولة شرقية عرفت الطباعة هى تركيا ، فقد أدخلت إليها أول مطبعة فى سنة ١٧٢٨ ، ثم تلتها سوريا ، فقد جلبت إليها الإرساليات الدينية المطابع لطبع الكتب الدينية ، فلما وفدت الحملة الفرنسية على مصر أحضرت معها مطبعة « البروباجندا » من إيطاليا ، ولكن هذه المطبعة لم تعط الفرصة الكافية والهدوء اللازم لتخرج للشعب مطبوعاتها ، ثم قدر لها أخيراً أن تخرج من مصر بخروج الحملة .

وظلت مصر خالية من المطابع نحو العشرين عاما حتى بدأ محمد على يضع الأسس لإصلاحاته ، وكان عماد هذه الإصلاحات فى نظره مدارس جديدة ، وجيشاً جديداً ، يتبع فى إنشائهما النظم الأوربية الحديثة ، ورأى أن هذه النظم الحديثة لا توجد فى الكتب العربية أو التركية القديمة ، وهنا اتجه تفكيره إلى إنشاء مطبعة فى مصر تزود هذه المنشآت بالكتب اللازمة .

يرجع تفكير محمد على فى إنشاء المطبعة إلى سنة ١٨١٥ تقريباً ، وهى السنة التى أوفد فيها بعثته إلى إيطاليا للتخصص فى فن الطباعة . أما تاريخ إنشاء المطبعة فقد اختلف فيه المؤرخون حتى المعاصرون منهم والرأى المتفق عليه بينهم أنها أنشئت فى سنة ١٨٢٢[١] ، غير أن وثائق العصر تفيد بأنها أنشئت قبل ذلك.

كتب شاعر اسمه سعيد ثلاثة أبيات باللغة التركية على لوحة تذكارية[٢] بمناسبة إنشاء المطبعة (ولا زالت هذه اللوحة موجودة فى المطبعة حتى الآن) ، وقد أشير فى نهايتها إلى إنها أنشئت فى سنة ١٢٣٥ (من أكتوبر ١٨١٩ إلى أكتوبر ١٨٢٠) ، وأرجح أن يكون الإنشاء فى أواخر سنة ١٢٣٥ أى فى سنة ١٨٢٠ ميلادية ، فقد ذكر الأستاذ توفيق اسكاروس أنه عثر فى نتيجة الحائط لسنة ١٩٠١ على بيتين من الشعر يؤرخ الأول منهما لسنة إنشاء المطبعة ، وهى سنة ١٨٢٠ ، ويؤرخ الثانى لسنة طبع النتيجة وهى سنة ١٩٠١ ، أما البيتان فهما :

---

(١) Bianchi, Catalogue Général des livres Arabes, . . etc' Journal Asiatique, 1843. p. 24.

(٢) انظر صورة هذه اللوحة ونص ما كتب عليها فى تاريخ الوقائع المصرية للدكتور إبراهيم عبده ، ص ٧ ، واللوحة المقابلة لها

حسن النتيجة قد نالته مطبعة محمد ساكن الجنات أنشاها ١٨٢٠
واليوم فى دولة العبـــاس أيده ربى ، تجدد بالإسعاد مبناها ١٩٠١[١]

ويرى أمين سامى باشا أن المطبعة أنشئت فى ٨ صفر سنة ١٢٣٧ (٤ نوفمبر ١٨٢١) معتمدا فى ذلك على أمر صادر من محمد على باشا فى هذا التاريخ إلى كتخذا مصر محمد لاظ اوغلى بك يشير فيه إلى وجود « شخص هندى بمصر له معرفة وإلمام ببعض اللغات ، وحسن الخط ، يقتضى تعيينه لتعليم الخط الفارسى للشبان الموجودين بمعية عثمان افندى سقه زاده ببولاق » ، وفى آخر الأمر حاشية تشير إلى تخصيص المذكور لعمل ترتيب لصنع حروف الطبع لطبع الكتب المصمم طبعها ببولاق أيضا، وتكون خطوط الكتب بخطه »[٢]

وفى ١١ ديسمبر سنة ١٨٢٢ زار المطبعة الرحالة الايطالى «بروكى» ، وقال فى حديثه عنها «والمطبعة لم تبدأ عملها كاملا إلا منذ نحو أربعة اشهر »[٣] ، أى إنها بدأت العمل فى أغسطس سنة ١٨٢٢ . ثم ذكر أن المطبعة أخرجت قبل زيارته كتابين ، احدهما باللغة التركية تعليم الجنود الموجودين فى الصعيد ، والثانى أجرومية باللغة العربية من تأليف أحد مشايخ القاهرة .

هذه هى صفوة الآراء التى تعرضت لتحديد تاريخ الإنشاء ، ومنها نستطيع أن نستنتج أن المطبعة بدىء فى إنشائها فى سنة ١٢٣٥ (١٨٢٠) ، فاللوحات التذكارية يذكر فيها دائما تاريخ البدء فى البناء لا الانتهاء منه ، ونستطيع أن نستنتج أيضا ان الإنشاء تم فى سنة ١٨٢١ ، وأنها بدأت الطبع فى ١٨٢٢ .

وكما اختلف المؤرخون فى تحديد سنة الإنشاء ، فقد اختلفوا أيضا فى تاريخ تحديد الباعث لمحمد على على إنشاء المطبعة ، والمشير عليه بذلك ، فرأى بعضهم ان الغرض الأول لإنشاء المطبعة هو اهتمام محمد على بطبع القوانين واللوائح والمنشورات الإدارية التى كان يريد نشرها فى مختلف مديريات القطر ، وهذا فيما نرى بعيد عن الصواب ، فإن النظام الذى وضعه محمد على لم يكن قد صدر بعد[٤] ، وإنما إنشاء المطبعة يعاصر تماما إنشاء المدارس الجديدة والجيش الجديد[٥] فلا شك إذن ان الغرض الأساسى هو طبع الكتب والتعليمات لهاتين المنشأتين .

كذلك يرى «المسيو رينو» والأستاذ بشاتلى[٦] ان الفضل فى تنظيم مطبعة بولاق يرجع إلى نصائح الأب رفاييل زاخور ، بينما ترى السيدة « لاكونتامبورن »[٧] ، La Contemporaine التى زارت مصر فى

---

(١) توفيق اسكاروس ، تاريخ الطباعة فى وادى النيل ، الهلال ، ديسمبر سنة ١٩١٣ ص ٢٠٠ .
(٢) تقويم النيل ، ج ٢ ، ص ٥٧٨ .
(٣) Brocchi, Op. Cit ; v. 1, p. 172.
(٤) ابراهيم عبده ، المرجع السابق ، ص ٨ .
(٥) Perron. Lettre sur les écoles et l'imprimerie, ... etc. J. A., 1843, p 18.
(٦) Bchatly, Un Membre Oriental .. etc. p. 257 & Reinaud. Notice des ouvrages arabee .. etc. J. A. 1851, p. 342.
(٧) La Contemporaine en Egypte, t. 11, pp. 276, 293-4.

سنة ١٨٣١ ان نجاح المشروع يرجع إلى عثمان نور الدين ، فإنه يبدو أنه هو صاحب الاقتراح ، وهو الذى عرضه على محمد على ، وهذه آراء — فيما يتضح لى — تعتمد على الاستنتاج أكثر من اعتمادها على الحقيقة أو السند التاريخى المادى ، فإن البعثة التى أرسلها محمد على إلى إيطاليا لتعلم فن الطباعة ، والتى كان من بين أعضائها نيقولا مسابكى أول رئيس للمطبعة أرسلت فى سنة ١٨١٥ ، والأب رفاييل لم يعد إلى مصر إلا فى سنة ١٨١٦ ، كذلك عثمان نور الدين لم يعد من بعثته إلى مصر إلا فى سنة ١٨١٧ ، لهذا يصح أن نرى أن محمد على هو صاحب الفكرة ، وإن كنا لا ننكر أنه أفاد فوائد جمة من نصائح وتوجيهات ومساعدات كل من عثمان نور الدين والأب رفاييل عنـــد الانشاء الفعلى للمطبعة . وقد بدأ محمد على فأحضر ثلاث آلات للطبع من ميلانو كما أحضر الحبر والورق والمواد الأخـــرى اللازمة للطباعة من ليجهورن Leghorn وتريستا Trieste ، غير أنه بعد أن صدف عن ايطاليا واتجه إلى فرنسا أخذ يحضر آلات للطباعة من باريس ، فإن « ميشو وبوجولات (١) Michaut et Poujoulat ذكرا أنهما رأيا ثمانية منها تؤدى عملها فى سنة ١٨٣١ .

ولقد أحضرت للمطبعه عند إنشائها مجموعات من الحروف العربية والإيطالية واليونانية ، وقد صنعت كلها فى ميلانو بإيطاليا ، غير أنه تبين بعد طبع الكتب التركية والعربية الأولى أن هذه الحروف العربية المصنوعة فى إيطاليا رديئة معتلة (٢) ، لهذا لم يكد محمد على يعلم بوجود «سنكلاخ افندى (٣) الخطاط الفارسى المشهور بالقاهرة حتى أصدر أمره فى ٨ صفر سنة ١٢٣٧ بأن يكلف بنقش حروف جديدة للمطبعة ، فجاءت حروفه جميلة ، وأجمل الكتب التى طبعت بخطه الفارسى « ديوان محى الدين بن عربى » الذى طبع فى بولاق سنة ١٨٥٤ . وقد كانت الحروف العربية بمطبعة بولاق صنفين : خط التعليق أو الفارسى ، وكانت تطبع به عناوين الفصول غالباً ، والخط النسخى المعتاد وتطبع به المتون .

أما الحبر فلم يلبث أن صنع فى مصر ، وبذلك أوقف استيراده من أوربا ، كذلك الورق فقد أنشئت « فابريقة » لصنعه حوالى سنة ١٢٥٠ (٤) أو قبيلها بقليل ، وكان مقرها الأول فى الحسينية ، ثم نقلت إلى بولاق ، وكان الورق يصنع أولا من مواده الأولية ، وفى ١٤ جمادى الأولى سنة ١٢٥٠ صدر أمر من محمد على إلى ناظر الجهادية جاء فيه « بما أنه صار البدء فى تشغيل فابريقة الورق التى تم انشاؤها ، وأن هذا الصنف يشتغلونه من الملبوسات الكهنة ، وما يشابهها ، فيشير بالتحرير من الجهادية إلى سائر الآلايات

---

(١) Michaud et Poujoulat, Correspondances d' Orient, t. VI, p.291.

(٢) أنظر مثلا قاموس رفاييل الايطالى العربى ، وفن الصياغة من ترجمته ، وفن الحرب باللغة التركية ترجمة شانى زادة ، وهى أول كتب ترجمت وطبعت فى بولاق سنة ١٢٣٨ (١٨٢٣) .

(٣) اسكاروس ، المرجع السابق ، ص ١٩٨ .

(٤) تقويم النيل ، ج ٢ ، ص ٤٢٢ .

والأرط بإرسال الملبوسات المرتجعة إلى ديوان الجهادية أولا بأول ، وبورودها ترسل إلى فابريقة الورق أولى من بيعها أو اتلافها بالبقاء ، فضلا عما فى ذلك من الفائدة فى كثرة تشغيل الورق [١] » .

ولم يكن محمد على يسمع بأى تحسين صناعى يتم فى أوربا حتى يبادر بالأخذ به فى مصر ، ففى ١٣ شعبان سنة ١٢٦٣ — قبيل وفاته بسنتين — نشرت الوقائع المصرية « أنه استحضر من أوربا آلة بخارية لإدارة فابريقة الورق . . وصار المأمول ازدياد ما يعمل فيها من جميع أصناف الورق بدلا من إدارة الفابريقة بالمواشى[٢] » .

وقد ظلت الآلات الخاصة بالمطبعة وفابريقة الورق ، وأصول الحروف ، واللوحات الإيضاحية الملحقة بالكتب المترجمة — وخاصة الكتب الحربية والرياضية والجغرافية — تصنع فى أوربا — فى إيطاليا وفرنسا — حتى تاريخ متأخر .

ففى ٢٩ المحرم سنة ١٢٤٨ (١٨٣٢) صدر أمر من محمد على « إلى مدير أمور التلامذة المصرية بباريس بالتصريح له بمشترى أحجار المطبعة التى بها رسم حركة السوارى المصنوعة بمعرفة عبدى أفندى .. وإرسال ذلك بطرفه برسوماتها التى عليها ، واستلام قيمة أثمانها من النقدية المحولة بمعرفة الخواجة باغوص » .[٣]

وفى ٦ صفر سنة ١٢٥٠ صدر أمر منه إلى خورشيد باشا وكيل الجهادية « بأنه علم مما تقرر من حكا كيان مهندس فابريقة الورق التى صار انشؤها حديثاً أنه يلزم لعمل المهمات والآلات التى تلزم للفابريقة هنا مدة مستطيلة نحو السنة ، وعليه يشير بأنه إن أمكن عمل ذلك فى عهد قريب فيها ، وإلا تحرر كشف بما يلزم بمعرفة المهندس المذكور . وتقديمه لطرفه لمداركتها من إيطاليا ، كما سبق استحضارها منها[٤] » .

وفى ١١ رمضان سنة ١٢٥٢ صدرت إفادة منه إلى باغوص بك « إنه بالنسبة لإعطائه أوراق عينات خط التعليق لاستحضار ذلك من أوربا برسم المطبعة ، ولاستعلام ناظرها شفاهياً من ورود ذلك من عدمه ، يلزم الإفادة عما ذكر ، وإن كان ورد منه شىء يرسل إلى المطبعة كمقتضى الأمر العالى[٥] » .

وظل الأمر على ذلك حتى نهاية عصر محمد على ، فيما عدا اللوحات الإيضاحية ، فقد ألحقت بمطبعة بولاق حوالى سنة ١٨٤٢[٦] مطبعة أخرى لصنع هذه اللوحات وطبعها .

---

(١) تقويم النيل ، ج ٢ ، ص ٤٣٦ .

(٢) الوقائع المصرية ، العدد ٧٥ ، بتاريخ ١٢ شعبان سنة ١٢٦٣ .

(٣) تقويم النيل ج ٢ ص ٣٩٨ .

(٤) المرجع السابق ، ٤٢٢ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٤٧٩ .

(٦) Perron, Lettre(A. M. J. Mohl)sur les écoles et l' imprimerie du Pacha d' Egypte J. A.,1843 p. 19

وقد كان أول مدير للمطبعة هو نقولا مسابكى ، وظل يشرف على إدارتها من الناحيتين الفنية والعلمية حتى توفى فى سنة ١٢٤٤ (١٨٣٠) .

وقد ذكر « بروكى » أن مسابكى هذا — فى أول عهده بالعمل — هفوة خطيرة كادت تقصيه عن العمل وتودى به ، وذلك أن قساً إيطالياً من كالابريا اسمه « كارلو بيلوتى » كان مدرساً بمدرسة بولاق نظم قصيدة طويلة فى « الأديان الشرقية » ، وكانت تتضمن طعناً فى الدين الإسلامى ، وأعطاها لمسابكى ليطبعها فى مطبعة بولاق ، وكان المستر « سولت Salt » قنصل انجلترا فى مصر يكره هذا القس ، فأراد أن يوقع به ، ونقل خبر هذه القصيدة إلى محمد على الذى أمر فى الحال بإحراق أصل القصيدة ، ولولا وساطة عثمان نور الدين لما عفا عن مسابكى ، بل لناله منه عقاب أليم[1] .

وعقب هذه الحادثة أصدر محمد على أمره فى ١٣ يوليو سنة ١٨٢٣ (١٦ ذو القعدة ١٢٣٩) أن لا تطبع المطبعة أى كتاب حكومى إلا بعد صدور إذن خاص منه .

وقد ألحق بنقولا مسابكى منذ اللحظة الأولى عدد من تلامذة الأزهر ، وكلف بتعليمهم طريقة الطبع وصف الحروف ، ونواحى العمل الفنيه الأخرى ، فلما حذقوا العمل ومرنوا عليه أسندت رئاسة الأقسام إلى نفر منهم ، فعين الشيخ عبد الباقى رئيساً للسبك ، والشيخ محمد أبو عبد الله رئيساً للطباعين ، والشيخان يوسف الصنفى ومحمد شحاته رئيسين للصفافين[2] .

وقد تولى الإشراف الفنى على المطبعة منذ إنشائها نقولا مسابكى ، أما الرئاسة الإدارية فقد تولاها أناس كثيرون بألقاب مختلفة ، كان أولهم عثمان نور الدين الذى عين مفتشاً للمطبعة فى ٨ صفر سنة ١٢٣٧ (٤ نوفمبر ١٨٢١) وظل يشغل هذا المنصب حتى شهر ذى الحجة سنة ١٢٣٩ (يوليو ١٨٢٣) ، ثم خلفه قاسم أفندى الكيلانى « مأموراً » للمطبعة من سنة ١٢٣٩ إلى ١٢٤٨ (١٨٢٣ — ١٨٣٢) ، وفى ٢٦ ذى الحجة سنة ١٢٤٥ ، (١٩ يونيو ١٨٣٠) عين عبد الكريم أفندى « مفتشاً » للمطبعة حتى فصل فى ٢٧ ذى الحجة سنة ١٢٥٠ (٢٦ ابريل ١٨٣٥) ، وفى سنة ١٢٤٨ عين من يدعى سعيد أفندى « ناظراً » للمطبعة غير أنه لم يل هذا المنصب إلا شهوراً قليلة ثم خلفه فى النظارة فاتح أفندى من ١٨ المحرم سنة ١٢٤٩ إلى رجب سنة ١٢٥٢ .

ثم اختفى لقب الناظر قليلا ، وعين حسين بك « مديراً للمطبعة وملحقاتها » من جماد أول سنة ١٢٥١ إلى صفر سنة ١٢٥٥ ، ثم ظهر لقب « الناظر » ثانية ، فعين حسن أفندي ناظراً للمطبعة والوقائع من ذي

---

(١) اسكاروس ، المرجع السابق ، ص ٢٠١ ، نقلا عن « بروكى » .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

الحجة سنة ١٢٥٢ إلى حوالى منتصف سنة ١٢٦٠ ، ثم خلفه حسين أفندى راتب ناظرا من سنة ١٢٦٠ إلى ١٢٦٤[1] .

وأول مانلاحظه على هذه القائمة أن تواريخها يتداخل بعضها فى البعض الآخر أحيانا وأن ألقاب رؤساء المطبعة كانت تختلف من سنة إلى أخرى ، فالرئيس مرة مفتش ، ومرة مأمور ، وهو حينا ناظر ، وحينا آخر مدير ، وتفسير هاتين الملاحظتين فى نظرنا أن المطبعة كانت ذات فروع وأقسام مختلفة ، فلعل رئيس كل قسم كان يحمل لقبا معينا ، وبهذا نستطيع أن نفسر وجود مفتش ومأمور ، أو مأمور وناظر ، أو ناظر ومدير فى وقت واحد .

ولقد كانت المطبعة الوسيلة الكبرى لتحقيق غرض محمد على من نقل الحضارة الغربية إلى مصر ، فلقد كانت طريقته فى هذا النقل هى الترجمة ، وما كان للترجمة أن تحقق غرضها إذا لم تطبع من الكتب المترجمة نسخ كثيرة توزع على الجند فى فرق الجيش ، وعلى الطلاب فى المدارس ، بل وعلى الأهلين .

ولهذا أنشئت مطابع أخرى كثيرة ، وألحق معظمها بالمدارس ، وخاصة البعيدة منها عن بولاق ليتيسر لها طبع الكتب التى تترجم بها دون تكبد مشقة الانتقال إلى مقر المطبعة الكبرى ، فكانت هناك مطبعة ملحقة بمدرسة الطب حين كانت فى أبى زعبل ، وقد طبع بها فى سنة ١٢٤٨ أول كتاب ترجم فى الطب وهو كتاب « القول الصريح فى حلم التشريح » ، ثم ظلت تطبع بها الكتب الطبية المترجمة حتى نقلت المدرسة إلى قصر العينى فأصبحت كتبها تطبع فى بولاق .

وكانت هناك مطبعة ملحقة بمدرسة الطوبجية بطرة ، وأول كتاب طبع بها هو كتاب : « الكنز المختار فى كشف الأراضى والبحار » . وقد طبعت بها كتب حربية ورياضية وجغرافية أخرى ، كذلك كانت هناك مطبعة أخرى فى المدرسة الحربية بالجيزة . وكان فى القلعة مطبعة طبعت بها الوقائع المصرية مدة ما .

ورغم وجود مدرسة المهندسخانة فى بولاق فقد ألحقت بها حوالى سنة ١٢٦٠ مطبعة حجر خاصة لطبع الكتب الرياضية المختلفة ، وما يتصل بها من أشكال ولوحات إيضاحية .

وهناك مطبعة أخرى لم يعن أحد بذكرها أو الاشارة اليها رغم أهميتها ، وهى مطبعة سراى الاسكندرية ، ولسنا نعرف بالتحديد متى أنشئت هذه المطبعة ، ولكننا نعرف أنها شاركت فى طبع بعض الكتب المترجمة فى ذلك العصر ، وخاصة الكتب التاريخية التى ترجمت إلى اللغة التركية ، ومنها نستطيع أن نرجح أن هذه المطبعة أنشئت فى سراى رأس التين حوالى سنة ١٨٣٢ ، ففيها طبع فى سنة ١٢٤٩ (١٨٣٤) كتاب « تاريخ نابليون » تأليف « دوق دى روفيجو » ، وكتاب تاريخ إيطاليا تأليف « بوتا » ، وقد قام بترجمة الكتابين عن الفرنسية إلى التركية عزيز أفندى كاتب الديوان بثغر الاسكندرية .

---

(١) اسكاروس ، المرجع السابق ، ص ٢٠١ ، وانظر أيضا Dunne. Op. cit. P. 331

وفى هذه المطبعة أيضاً كانت تطبع الجريدة الرسمية الفرنسية « لومونيتور اجيسيان Le Moniteur Egyptien » التى ظلت تصدر نحو ثمانية أشهر من أغسطس سنة ١٨٣٣ إلى مارس سنة ١٨٣٤[١] .

وبعد وضع التنظيم الإدارى الجديد لمصر الحق ببعض الدواوين مطابع خاصة بها لنشر أوامرها ومنشوراتها وقوانينها فقد كان لديوان المدارس مطبعة ، ولديوان الجهادية مطبعة ، غير أنا نلاحظ أن هذه المطابع شاركت أيضاً فى طبع الكتب المترجمة، ففى مطبعة ديوان الجهادية طبعت « رسالة فى علاج الطاعون» فى سنة ١٢٥٠ ، و « رسالة فيما يجب اتخاذه لمنع الجرب والداء الافرنجى عن عساكر الجهادية ونسائها » . فى سنة ١٢٥١ ، والرسالتان من تأليف كلوت بك .

وقد كان الغرض الاساسى من انشاء هذه المطابع هو طبع الكتب المترجمة ، ولكنها قامت أيضاً باحياء كثير من المخطوطات القديمة التى دعت الحاجة إلى طبعها ، وقد كانت تقاليد العصر تقضى بطبع الف نسخة من كل كتاب يترجم ، وإن كان القليل منها قد طبع منه خمسمائة فقط .

وكانت هذه الكتب توزع على تلاميذ المدارس ، فهى من أجلهم ترجمت وطبعت ، وكانت أثمان الكتب تخصم منهم فى أول الأمر ، وثمن الكتاب هو ما صرف على طبعه دون تقدير أى ربح ، وحوالى سنة ١٢٥٨ (١٨٤٢) رأت الحكومة أن تصرف الكتب للتلاميذ على نفقتها الخاصة ، ولكنها كانت تأمر بأن تكون هذه الكتب عارية للتلاميذ تجمع منهم إذا انتقلوا إلى فرقة أعلى لتصرف إلى التلاميذ الجدد[٢] وهكذا يستمر الكتاب يتداول بين التلاميذ من يد إلى أخرى حتى يهلك فيستهلك .

وبعد مدة أخرى رأى ديوان المدارس أن يقرر مبدأ ملكية التلميذ للكتاب ، وبهذا أصبح كل تلميذ يحتفظ بكتبه إذا انتقل من فرقة إلى أخرى ، أو من مدرسة إلى أخرى، ويبدو لى أن الديوان قرر هذا النظام بعد أن رأى أن الكتب التى طبعت لم تجد لها قراء غير تلاميذ المدارس ، فتكدست أكواما فى المخازن .

وقد كانت الكتب التى طبعت فى مصر تجد لها أسواقا رائجة فى تركيا وبلاد المغرب[٣] وبذلك نافست مطبعة بولاق مطبعة الاستانة .

أما فى مصر فقد كان الإقبال على الكتب المترجمة — خارج المدارس — قليلا جدا ، وذلك لقلة عدد القارئين، ولأن معظم الكتب التى ترجمت كانت كتبا فنية لا يفيد منها قراء المعهد القديم — الازهر — ، ولهذا كانت هذه الكتب تختزن فى مخازن المطبعة فى بولاق ، أو فى « الكتبخانة الخديوية » التى أنشئت فى سنة ١٢٥٠ «وكان الديوان والكتبخانة دائمى الشكوى من صعوبة (تصريف) الكتب التى اكتظت بها

---

(١) ابراهيم عبده ، تاريخ الوقائع المصرية ، ص ١١٩ — ١٢١ ، وانظر أيضا :
St. John, Egypt & Mohamed Ali, vol. II, p. 358.

(٢) عزت عبد الكريم ، تاريخ التعليم فى مصر محمد على ، ص ٤٧٦ .

(٣) Perron, Lettre sur les écoles et l' imprimerie du Pacha, etc. J. A., 1843,P. 152

برغم الاجراءات التى كانت تتخذها لتشجيع الاقبال على شرائها فكانت تبيع الكتب أحيانا بثمن وتخفض أثمانها أحيانا أخرى . رغبة فى انتشار العلوم بين الأهالى»[١] . وقد كان فى عزم محمد على أن ينشىء فى القلعة « بعد اتمام الجامع الشريف » دار كتب جديدة تنقل اليها الكتب النفيسة من خزينة الأمتعة « لمطالعة الجمهور »[٢] ، غير أن المراجع المعاصرة لا تذكر أن هذا الأمل حقق فى عصر محمد على .

وكانت لجنة الامتحان فى مدرسة الالسن تكافىء المجيدين من المترجمين فتمنح كل مترجم أنجز عمله — فى الموعد المحدد له ، وطبع كتابه — خمس نسخ من هذا الكتاب — هدية وتشجيعا له[٣] .

وكان محمد على يفخر بنهضته العلمية كل الفخر ، ويعتز بكتبه التى ترجمت وطبعت ويحب أن يباهى بها الدول الأخرى ، بل كان يعتبرها خير هدية تهدى للملوك أوربا المختلفين ، فى ٢٠ ربيع الثانى سنة ١٢٦١ أصدر أمره إلى مدير ديوان المدارس « بانتخاب ثلاث نسخ من كل كتاب من الكتب الكبيرة النفيسة التى طبعت فى مطبعة مصر ، والتى سبق إرسالها إلى أوربا ، وتجليدها وتذهيبها ، وإرسالها لطرفنا ، وخصم الثمن على طرف الديوان، لترسل بمعرفة أرتين بك مدير التجاره والأمور الخارجيـة ، لصاحب الجلالة ملك فرنسا بصفة هدية »[٤] .

وفى ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٢٦١ صـدر منه أمر آخر ، جاء فيه: «الكتب المدرجة بالجدول طيه سترسل هدية منى إلى صاحب الحشمة ملك الروسيا ، فيلزم فرزها وتجليدها وتذهيبها ، مع ٣ نسخ من كل نوع من أنواع الكتب السابق طبعها بمطبعة بولاق ، وأرسل منها إلى أوربا »[٥] .

وفى ١٥ رجب سنة ١٢٥٦ أعطى ميرزا هاشم مجموعة من الكتب التى طبعت فى بولاق لتقديمها إلى شاه العجم[٦] .

---

(١) تاريخ التعليم فى عصر محمد على ، ص ٤٧٧ .

(٢) تقويم النيل ، ج ٢ ، ص ٤٨٣ ، وقد عبر محمد على عن هذا الأمل فى خطاب منه إلى باقى بك فى ٥ المحرم سنة ١٢٥٣ .

(٣) تاريخ التعليم فى عصر محمد على ، ص ٣٤٢ (عن وثائق عابدين) .

(٤) تقويم النيل ، ج ٢ ، ص ٥٢٩ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٥٣٣ .

(٦) فى عابدين ، محفظة ٢٦٠ رقم ٧٢ بيان بأسماء هذه الكتب ؛ أنظر : أسد رستم، بيان بوثائق الشام ، مجلد ٤٤ ص٤٥٦